خلق من الاعمال ما يكون جزاء على عمل متقدم ويقولون خلق طاعة للمطيع لكن ما خلق ذنبا
من الذنوب ابتداء بلا جزاء فيقولون اول ما يفعل العبد لم يحدثه الله وما ذكرنا يوجب
ان يكون الله خالق كل شيء لكن اولها عقوبة على عدم فعل لما خلق له والعدم لا يضاف
الى الله فما احدثه فاول عقوبة على هذا العدم وسائرها تكون على ما وجد وقد يكون عقوبة
على استمراره على العدم فما دام لا يخلص لله لا يزال مشركا والشيطان مسلطا عليه ثم تخصيصه
سبحانه لمن هداه بان استعمله ابتداء فيما خلق له تخصيص بفضله وهذا منه لا يوجب الظلم ولا يمنع
العدل ولهذا يقول تعالى والله يختص برحمته من يشاء وكذلك الفضل هو اعلم به كما خص بعض
الابدان بقوى لا توجد في غيرها وبسبب عدم القوة قد يحصل له امراض وجودية وغير ذلك
من حكمته وتحقيق هذا يدفع شبهات هذا الباب ومما ذكر فيه العقوبة على عدم الايمان
قوله تعالى ونقلب افئدتهم وابصارهم كما لم يؤمنوا به اول مرة الاية هذا من عام قوله وما يشعركم
انها اذا جاءت لا يؤمنون فذكر ان هذا التقليب يكون لما لم يؤمنوا به اول مرة وهذا عدم
الايمان لكن يقال هذا بعد دعاء الرسول لهم وقد كذبوه وتركوا الايمان وهذه امور
وجودية لكن الموجب هو عدم الايمان وما ذكر شرط في التعذيب كارسال الرسول فانه
قد يشتغل عن الايمان بما جنسه مباح لا يستحق به العقوبة الا لانه يشغل عن الايمان
ومن الناس من يقول ضد الايمان هو تركه وهو امر وجودي لا ضد له الا ذلك الفرق
السابع ان السيئات التي هي المصائب ليس لها سبب الا ذنبه الذي من نفسه وما يصيبه من الخير
لا تنحصر اسبابه لانه من فضل الله يحصل بعمله وبغير عمله من انعام الله عليه وهو سبحانه
لا يجزيه بقدر العمل بل يضاعفه فلا يتوكل الا على الله ولا يرجع الا عليه فهو يستحق الشكر
المطلق العام التام وانما يستحق غيره من الشكر ما يكون جزاء على ما يسره الله على يديه
من الخير كشكر الوالدين فانه لا يشكر الله من لا يشكر الناس لكن لا يبلغ من حق احد وانعامه
ان يشكر بمعصية الله او يطاع بمعصيته فانه هو المنعم بالنعمة وما بكم من نعمة فمن الله
وقال وسخر لكم ما في السموات وما في الارض جميعا منه وجزاه على الطاعة والشكر وعلى
المعصية والكفر لا يقدر احد على مثله فلهذا لم يجز ان يطاع مخلوق في معصية الخالق
وقال تعالى ووصينا الانسان بوالديه حسنا وان جاهداك لتشرك بي ما ليس لك
به علم فلا تطعهما الاية وفي الاخرى وان جاهداك على ان تشرك بي ما ليس

لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفا والمقصود انه اذا عرف
ان النعم كلها من الله صار توكله ورجاؤه له واذا علم ما يستحقه من الشكر الذي لا يستحقه
غيره صار شكره له والشر انحصر سببه في النفس فعلم من اين يؤتى فاستغفر واستعان
بالله واستعاذ به مما لم يعمل بعد كما قال بعض السلف لا يرجون عبد الا ربه ولا
يخافن الا ذنبه وهذا خلاف قول الجهمية الذين يعذب بلا ذنب ويجاوزونه ولو لم يذنبوا
فاذا صدق بقوله وما اصابك من سيئة فمن نفسك علم بطلان هذا القول وقد تقدم
قول ابن عباس وغيره ان ما اصابهم يوم احد كان بذنوبهم لم يستثن من ذلك احد
وهذا من فوائد تخصيص الخطاب لئلا يظن انه عام مخصوص الفرق الثامن
ان السيئة اذا كانت من النفس والسيئة خبيثة مذمومة وصفها بالخبث في مثل
قوله الخبيثات للخبيثين قال جمهور السلف الكلمات الخبيثة للخبيثين وقال بعضهم
الاقوال والافعال الخبيثة للخبيثين وقال تعالى ضرب الله مثلا كلمة طيبة الى قوله ومثل
كلمة خبيثة كشجرة خبيثة وقال اليه يصعد الكلم والعمل الصالح يرفعه والاقوال
والافعال صفات القائل الفاعل فاذا كانت النفس متصفة بالسوء والخبث
لم يكن محلها الا ما يناسبه فمن اراد ان يجعل الحيات والعقارب يعاشرون الناس
كالسنانير لم يصلح ومن اراد ان يجعل الكذاب شاهدا لم يصلح وكذلك من اراد ان يجعل
الجاهل معلما والاحمق سائسا فالنفوس الخبيثة لا تصلح ان تكون في الجنة الطيبة
بل اذا كان في النفس خبث طهرت وهذبت كما في الصحيح ان المؤمنين اذا نجوا من النار
وقفوا على قنطرة الحديث واذا علم ان السيئة من نفسه لم يطمع في السعادة التامة
مع ما فيه من الشر بل علم تحقيق قوله من يعمل سوءا يجز به وقوله ومن يعمل مثقال ذرة
شرا يره وعلم ان الرب جارية افعاله على قانون العدل والاحسان وفي الصحيح
يمين الله ملأى الحديث وعلم فساد قول الجهمية الذين يجعلون الثواب والعقاب
بلا حكمة وهو سبحانه قد شهد انه لا اله الا هو والملائكة واولو العلم قائما بالقسط
وهم قصدوا انما قصة المعتزلة في القدر والوعيد مسلك المرجئة الغلاة كجهم
واتباعه وجهم اشتهر عنه نوعان من البدع نوع في الاسماء والصفات فغلا فيه
في النفي ووافقه على ذلك الباطنية والفلاسفة ونحوهم والمعتزلة في الصفات

Copyright King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)